

القديس أنطونيوس الكبير نبذة عن حياته

ولد القديس العظيم في مدينة كوما في صعيد مصر نحو السنة 251. وقد كتب سيرته القديس أثنازيوس بطريرك الإسكندرية معاصره، قال: ولد أنطونيوس في مصر من أبوين مسيحيين تقين.

توفي والداه تاركين له أختاً دون سنه، فكان لها الأخ الشقيق المحب. سمع يوماً كلام الإنجليل المقدس: "إن كنت تريدين أن تكون كاملًا فاذهب وبع كل شيء لك وأعطيه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني" (متى 19:21). فكان لهذه الآية وقوعها العميق في قلبه، فمضى فباع ما يملك، تاركاً لشقيقته نصيبيها، وزوج ما خصه على الكنائس والقراء. واعتزل وأخذ يزور النساك، صارفاً أكثر أوقاته بالصلوة والتأمل ومطالعة الأسفار المقدسة.

فحسده الشيطان وأخذ يجرّيه. أما أنطونيوس فكان ينتصر على هذه التجارب بالصوم والصلوة والتأمل. ولم يكن يقتات بسوى الخبز والملح وقليل من الماء. وبالرغم من إنتصاراته على التجارب، لم يكن الشيطان لينفك عن منازلته.

إنفرد في الصحراء وأدخل قبراً قدیماً أقام فيه أشهراً. وما زال الشيطان يهاجمه بصور حيوانية مرعبة، لكنه كان يقاومها بمعونة الله. وفي هذا العراق الهائل أشرق في ذلك الكهف نورٌ سماوي وظهر الرب يسوع. فصرخ أنطونيوس: "أين أنت يا سيدي؟" فأجابه الرب: "كنت هنا، يا أنطونيوس، أشاهد جهادك".

ثم توغل في صميم الصحراء، واستأنف حياة التأمل ومناجاة الخالق مدة عشرين سنة، إلى أن عرف الناس بمقره، فأخذوا يأتونه من كل صوب. وطلب الكثيرون منهم أن يقبلهم في عداد تلاميذه، فأجاب طلبهم ونزل معهم إلى ضفاف النيل، حيث أنشأ لهم أديرة عديدة.

وكثر عدد الرهبان جداً وانتشر عبر الفضائل المسيحية في تلك البراري. وكان أنطونيوس يزور الأديار ويبيت الرهبان في دعوتهم. ومن أقواله المأثورة: "يابني لا تهمل ذكر الأبدية، قل لنفسك في كل صباح إنك ربما لا تعيش إلى المساء، وعند المساء إنك ربما لا ترى نور النهار. قاوم التجربة بشجاعة، إن الشيطان ضعيف أمام الصوم والصلوة وإشارة الصليب".

وفي السنة 311 ثار الإاضطهاد بشدة على المسيحيين، فهبت نار الغيرة في قلب أنطونيوس فسار إلى الإسكندرية يشدد عذائب الشهداء ويرافق المسيحيين إلى المحاكم ويشجعهم على الثبات في الإيمان، ولما حمدت نار الإاضطهاد، عاد إلى صومعته يتابع حياته التسكية.

ومنه الله بموهبة شفاء الأمراض وطرد الشياطين، فتقاطر الناس إليه أفواجاً فخاف من روح الكبراء، فهرب إلى برية تيبايس العليا. وبعد أن عثر رهبانه عليه زار أد iarه وحثَ الرؤساء والرهبان على مواصلة السير في طريق الكمال، وعاد إلى خلوته. ثم زار القديس بولا أول النساك.

وفي السنة 325 إزدادت هرطقة الآريوسيين تفشيًّا في الإسكندرية، فدعاه القديس أثنازيوس إليها فألبى أنطونيوس الدعوة، رغم كبر سنه، فخرجت المدينة لاستقباله. فأخذ يحذّرهم من الهرطقة الآريوسية، ويبين لهم أن المسيح الله حق وانسان حق. ثم عاد إلى جبله.

وكانت له المنزلة الكبرى لدى العظام والملوك، لا سيما الملك قسطنطين الكبير الذي كتب إليه يطلب صلاته وشفاعته.

وفي المرحلة الأخيرة من حياته، زار أديرة رهبانه محرضاً الجميع على الثبات في طريق الكمال. ورقد بسلام في 17 كانون الثاني سنة 356 قوله من العمر مئة وخمس سنين.

من تركته الروحية سبع رسائل شهيرة كان قد وجهها إلى بعض أديار المشرق. وقد نقلت من القبطية إلى اليونانية واللاتينية وطبعت مدمجة بين تأليف الآباء.

وحسبنا أن ذكر المناسك والنساك الكثُر الذين إقتدوا به متذمرين طريقته في لبنان. وما وادي قاديشا ودير مار أنطونيوس قرحاً التاريخي الشهير بمعجزاته في طرد الشياطين إلا دليل على ما لهذا القديس من الشفاعة لدى الله ومن الثقة والكرامة في قلوب اللبنانيين.

والرهبانيات المارونيتات الثلاث أبىت إلا أن تدعى بإسمه المبارك منذ نشأتها وأن تتبع طريقته النسكية. ولذلك حق له أن يدعى "كوكب البرية" ومجد الحياة الرهبانية وشفيع الجماعات والأفراد في كل مكان وزمان. صلاته معنا. أمين.

